

٢٤ - حُسْنُ الْخُلُقِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
أما بعد.

فيا أيها المؤمنون! اتقوا الله رَبَّكُمْ، واعملوا بخصالِ التقوى، فَإِنَّ لتقوى الله - جَلَّ وعلا - خِصَالًا، لَا تَتَمُّ إِلَّا بِهَا، وَمِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - حُسْنُ الْخُلُقِ، وَصَالِحُ السَّجَايَا وَالشَّيَمِ، فَإِنْ مِنْ مَقَاصِدِ الْبِعْثَةِ الْمَحْمُودِيَةِ إِمَامَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، لِيَتَمَّ بِهِ صَالِحُ الْأَخْلَاقِ وَفَاضِلَهَا.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

وقد جعل الله تزكية النفوس وإصلاحها بالفضائل والمكرّمات إحدى وظائفِ النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

(١) أحمد (١٩٣٩) والحاكم (٤٢٢١) وقال: "صحيح على شرط مسلم".

(٢) سورة آل عمران: (١٦٤).

أيها المؤمنون.

إِنَّ شَأْنَ الْأَخْلَاقِ عَظِيمٌ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُبَارَكَةِ؛ إِذْ هِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْقِيَامِ بِحَقُوقِ الْعِبَادِ؛ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، فَبِقَدْرِ مَا مَعَكَ مِنْ اسْتِقَامَةِ الْخُلُقِ بِقَدْرِ مَا مَعَكَ مِنْ اسْتِقَامَةِ الدِّينِ.

قال الله - تبارك وتعالى - في بيانِ أعظمِ آياتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم الدَّالَّةِ على صِدْقِ نُبُوَّتِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أي: على دين عظيم".

وقد جعلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ دَلَائِلِ كَمَالِ الْإِيمَانِ، فقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٢).

فحسُنُ الْخُلُقِ أيها المؤمنون صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّالِحِينَ، بِهَا تُنَالُ الدَّرَجَاتُ، وَتُرْفَعُ الْمَقَامَاتُ، وَهُوَ وَاجِبٌ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَفَرِيضَةٌ مِنَ الْفَرَائِضِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَدْ أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثَمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٣).

(١) سورة القلم: (٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والحديث صححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٦/١.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٠٢٦) ، والترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وقال :

أيها المؤمنون.

إن لحسن الخلق، وطيب الشيم فضائل عديدة في الكتاب والسنة وكلام الأئمة.
فمن فضائل حسن الخلق: أمر الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١)، فإن هذه الآية أجمع آية لمكارم الأخلاق، وأصول
الفضائل.

ومن فضائل حسن الخلق: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي كل الخير
والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة مُرْتَهَنَةٌ بالاقتداء به، واتباع سنته.
وهو صلى الله عليه وسلم أجمل الناس خلقاً، وأطيبهم شيماً، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

ومن فضائل حسن الخلق أيها المؤمنون: أن به يبلغ المؤمن درجة الصائم القائم، قال
صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحَسَنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»^(٣).

ومن فضائل حسن الخلق أيها المؤمنون: أنه يتقل ميزان العبد يوم القيامة، ففي
مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في الميزان يوم

حسن صحيح".

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٠١٠)، والحاكم (١٩٩) وقال: "صحيح على شرطهما".

القيامة من حسن الخلق»^(١).

أيها المؤمنون.

إنَّ من فضائلِ حسنِ الخلقِ أنه من أسبابِ القُربِ من النبيِّ صلى الله عليه وسلم يومَ القيامةِ، ففي صحيحِ ابنِ حبانٍ قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٢).

عبادَ الله! إِنَّ خَيْرِيَةَ الرَّجُلِ لَا تُقَاسُ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ فَحَسَبَ، بَلْ لَا بَدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي أَخْلَاقِهِ وَشِيَمِهِ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: «خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٣).

أيها المؤمنون.

هذه بعضُ فضائلِ حسنِ الخلقِ، ولو لم يكن فيه إلا ضمانُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بيتًا في أعلى الجنةِ لَمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ لَكَانَ كَافِيًا، ففي سنن أبي داود قال صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٢٦٩٧١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، وصححه الألباني في ظلال الجنة ٥٧/٢.

(٢) صحيح ابن حبان (٤٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٥) ،ومسلم (٢٣٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، وصححه النووي في "الرياض" ص (٢٣٢).

فاجتهدوا أيها المؤمنون في تحسين أخلاقكم لتحرزوا بذلك تلك الفضائل العظيمة،
والدرجات الرفيعة، والأجور الوفيرة، فقد صدق من قال:

لو انني حُيِّرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ ما اخترتُ غيرَ محاسنِ الأخلاقِ^(١)

اللهم اهدنا لصالِحِ الأعمالِ والأخلاقِ؛ فإنه لا يهدي لصالِحِها، ولا يصرفُ سيئِها إلا
أنت.

(١) البيت المشدود أبو جعفر القرشي كما في شعب الإيمان للبيهقي (١١ | ٤٩).



الخطبة الثانية

أما بعد.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وحَسِّنوا أخلاقكم، فإن تقوى الله وحسنَ الخلقِ أكثرُ ما يُدخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ.

واعلموا أيها المؤمنون أن حسنَ الخلقِ الذي رُتِّبَ عليه تلك الأجرُ العظامُ، والفضائلُ الحسانُ إنما هو ما ابْتُغِيَ به وجهُ الله، ووَافَقَ فيه الظاهرُ الباطنَ، كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

فحَسُنُ الخُلُقِ المطلوبُ أيها المؤمنون سلامةً في الظاهرِ، ونقاءً في الباطنِ، وإنَّ جَماعَ حسن الخلقِ جاء في آيةٍ واحِدَةٍ في كتاب الله تعالى، وهي: ﴿خِذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، فمن عمِلَ بهذه الآية فقد اجتمَعَ له حَسُنُ الخُلُقِ.

ففيها الأمرُ بإيصالِ الخَيْرِ والنَّفْعِ إلى الخلقِ أجمعين.

وفيهما الحثُّ على احتمالِ الجناياتِ، والعفوُّ عن الزَّلَّاتِ.

وفيهما الأمرُ بمقابلةِ السَّيِّئاتِ بالحسَناتِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وجماعُ حُسْنِ الخُلُقِ مع الناسِ أن تَصِلَ من قَطَعَكَ بالسَّلامِ والإكرامِ، والدعاءِ له والاستغفارِ، والثناءِ عليه والزيارةِ له، وتُعطي

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) الأعراف: ١٩٩.

من حَرَمَكَ من التعلِيمِ والمنفعةِ والمالِ، وتعفو عَمَّن ظَلَمَكَ في دمٍ أو مالٍ أو عَرَضٍ"^(١).

أبيها المؤمنون.

إن من أعظم ما تزكو به الأخلاق، وتطيب به الخصال، وتستقيم به الخلال كتاب الله الحكيم، القرآن العظيم، فإن أخلاقه أزكى الأخلاق، وأشرفها وأفضلها وأطيبها وأعظمها، قال الله تعالى واصفاً خلق النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

ولقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم؟ فأجابت بما شفى وكفى، فقالت: "كان خلقه القرآن"^(٣)، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، هذا ما قالته عائشة رضي الله عنها في وصف خلقه صلى الله عليه وسلم.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «خَدَمْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين، فما قال لي أفَّ قط، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه: لم صنعتَه؟ ولا لشيءٍ تركتُه: لم

(١) مجموع الفتاوى ٦٥٨/١٠.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٦٤٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٥)، وصححه الألباني .

